الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على هامش الصراحة

بوابة بغداد الجنوبية

إحسان شمران الياسري

في ٢٠٠٧/٨/١٤ تمت المباشرة بإنشاء بوابة بغداد الجنوبية (كما تقول اللوحة الصدئة المعلقة تحت كومة الانقاض التي يرزح تحتها هيكل البوابة).
وقد عاصرت هذه البوابة اثنين من المحافظين واثنين من مجالس المحافظات ورئيس وزراء واحد بدورتين.
فكما يعلم أهالي بغداد، والوافدون اليها، ان عاصمتهم الخالدة لها أربعة مداخل رئيسية، في كل مدخل وضعت محطة هائلة لتجميع الانقاض أو الازبال او محطة لتصفية المياه الثقيلة أو موقع لتجميع السكراب.
فتخيلوا عاصمة قلبها أخضر (من المنطقة الخضراء) وأطرافها من هذه الشاكلة..
أيّ سعادة تنعم فيها حاضرة الخلافة الاسلامية ومركز النهضة العربية الاسلامية لعدة قرون.
وكلما رأيت حال بغداد، تذكرت أحوال المؤجرين وهم يشكون إهمال المستأجرين لعقاراتهم وكيف ان الازبال تحيط بها، وحديقة المنزل تملأها الحلفاء والبردي، والحيطان متهرّئة والكاشي نصفه (مقلوع).. اذ يبدو ان الإدارة الحكومية المحلية والمركزية تتعامل مع بغداد وكأنها بيت إيجار لا ضرورة للاهتمام به او انفاق ما يزيد على الضرورات القصوى..
فالمستأجر يومّن وجود (حنفية) ماء و (وايـر) للسحب من مولدة الشارع، ومصباح (أبو ٦٠ أمبير) في (الهول).
ولو تصرفت الإدارات الحكومية على أساس أن بغداد (مُلك) وليس (ايجار) لكان حالها وحالنا احسن بكثير..
وبالعودة الى بوابة بغداد الجنوبية، والامل بانتهائها (ربما مع انتهاء ولاية مجلس محافظة بغداد الحالية وولاية الحكومة الجديدة)، فان الناس تتطلع الى تقديم كشف بالصيغة التي تم التعاقد فيها مع الشركة المنفذة، والجهة التي تعاقدت معها، والمدة المحددة للإنجاز، وأسباب هذا التأخير المقيت.. ومدى صحة الأخبار عن حصول خطأ في تصميم البوابة وفي موقعها وان هناك قراراً بـ(تغليشها) واستبدالها بأخرى!!..

ihsanshamran@yahoo.com

من يقف وراء الثورة المصرية؟

أسئلة كثيرة بإمكان المتابع أن يطرحها وأول هذه الأسئلة وأكثرها إلحاحاً يتمثل بمن يقف وراء الثورة المصرية ؟ من يرعاها ويؤدلج لها ويمنحها كل هذه القوة التي تمكنت من إزاحة الهرم الرابع في مصر ؟

إيمان محسن جاسم

إنني شخصيا كنت أبحث ما يجعلني أصل لإجابات بهذا الخصوص ، ولكي نصل لهذا علينا أن نحلل شخصية المجتمع المصري الذي ربما يتصور البعض بأن (الإسلاميين) لهم دور كبير في إذكاء هذه الثورة ، لكن معطيات الشارع المصري تؤكد أن لا تأثير لهؤلاء في وسط الشباب بحكم إن الشباب لا يميلون لهذا الاتجاه والكثير منهم لم يسمح برفع شعار (الإسلام هو الحل) في ميدان التحرير ، هذا الشعار رفع مرة واحدة وتم توجيه تأنيب كبير جدا لمن حمله ، وربما اعتقد البعض بأن رفع شعار الإسلام هو الحل من شأنه أن يجهض الثورة المصرية ، والمتابع سيجد بأن هنالك توجساً أصاب الغرب في اليوم الذي أعلن فيه المرشد الأعلى للثورة الإيرانية بان هنالك شرق أوسط إسلامياً الآن ، الرد كان قويا ليس من قبل المتظاهرين الذين بالتأكيد لم يسمعوا هذا التصريح ويتمعنوا به لكن من قبل قيادات مصرية كبيرة منها وزير الخارجية أحمد أبو الغيط الذي رد بقوة على هذا التصريح ، وهذا الرد كان رسالة واضحة للغرب من أن مصر ستتحول إلى النهج الإسلامي المتشدد وستولد (إيران أخرى) في المنطقة ، في محاولة لاستمالة الغرب نحو تخفيف حدة الدعم للمنتفضين على الأقل إعلاميا وهذا ما لم يتحقق للنظام المصري . والشيء الآخر الذي لم يقتنع به الغرب من إن إيران لها صلة بأحداث مصر أو تنتظرها هو عدم وجود موطئ قدم لإيران في هذا البلد حتى من خلال الأخوان المسلمين الذين يختلفون بالتأكيد فكريا عن مبدأ ولاية الفقيه في إيران ولا يلتقون معها لا من قريب ولا من بعيد رغم إن الحزب الحاكم روج أيام الانتخابات عن إقدام طهران لتقديم ٨٠٠ مليون دولار للإخوان لدعم دعايتهم الانتخابية آنذاك، وقد تم نفي ذلك من قبل الإخوان ولم يحد صدى له داخل الشارع المصري الذي لا يمكن أن نصفه بالشارع المتدين فهو أقرب للعلمانية والليبرالية في وسط مثقفيه ، أما عامة الشعب فهم ينقادون للنخب السياسية ونخبة رجال الأعمال الذين ربما يقف بعضهم وراء الشباب ويدعمهم ، خاصة صغار رجال الأعمال الذين وجدوا أنفسهم يخسرون الكثير من أعمالهم لحساب المقربين من السلطة وفي مقدمتهم أعضاء الحزب الحاكم .
لهذا نجد بأن هنالك فعلا دعما كبيرا من قبل رجال الأعمال لديمومة الثورة من أجل التخلص من سيطرة الحزب الحاكم على العديد من النشاطات الاقتصادية ، وهذه ليست فرضية بقدر ما هي واقع حقيقي .
وهذا الواقع لا يتقاطع مع ثورة الشباب بل يلتقي معها في محاور عديدة في مقدمتها مصالح رجال الأعمال التي تضررت جزئيا أو كليا جراء الهيمنة والمحسوبية والفساد الكبير جدا .
لكن ما يمكن تشخيصه بدقة بأن لا أجندات خارجية تقف وراء هذا ، لأن الخارج لا يختلف مع طبيعة النظام المصري ، لكن من الممكن القول بأن أمريكا ساهمت بشكل كبير في قبول حسني مبارك التنحي لصالح الجيش ، والجيش المصري يرتبط قادته بعلاقات قوية مع واشنطن ، والأخيرة لا تريد فعلا (إيران جديدة) لأنها لا تضمن الشارع المصري حتى موعد الانتخابات القادمة المحدد لها مبدئيا في سبتمبر / أيلول ٢٠١١ ، وما يمكننا القول بأن هنالك داعمين رئيسيين لثورة الشباب المصري ، الأول رجال الأعمال الذين تضرروا من هيمنة أحمد عز وصحبه على مقدرات مصر ، والعامل الثاني تفهم أمريكا والغرب للتغيير المسيطر عليه والاحتكام للجيش الذي يحظى بتقدير الشعب . وهذا ما يؤمن مخرجا صحيحا من وجهة نظر الجميع فالنظام تنحى ، والثورة حققت أهدافها فدعوا ما تبقى ينظم بشكل لا يتعارض وأهمية مصر ودورها المحوري في المنطقة .

ما بعد ماركس.. ما بعد الماركسية
من كاوتسكي ولينين إلى الستالينية؛ إخفاق الممارسة

سعد محمد رحيم

سعد محمد رحيم

هل فرض مجمل المآزق السياسية (التطبيقية) للتجارب الاشتراكية المتسربلة بالنظرية الماركسية مقدمات ما بعد الماركسية أم أن ما بعد الماركسية تعبير عن أزمة الفكر الماركسي الذي فاجأه الواقع التاريخي بوقائع ومعطيات وتحديات، لم تخطر على بال المنظّرين والستراتيجيين الماركسيين؟
كان عالم ما بعد ماركس يتحوّل في مسارات معقدة، غير متوقعة في كثير من الأحايين. ولم تكن للنظرية أن تبقى على حالها، داخل إطار قارّ، وبمقولات نهائية، ومنهج متصلب وصارم. وكان طبيعياً أن يخضع ما قال به ماركس لامتحان التاريخ، وأن تتأزم الماركسية، وتتطور، في ضوء ذلك.

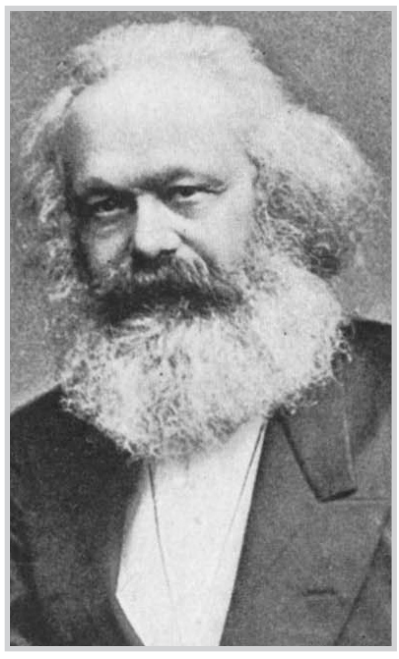

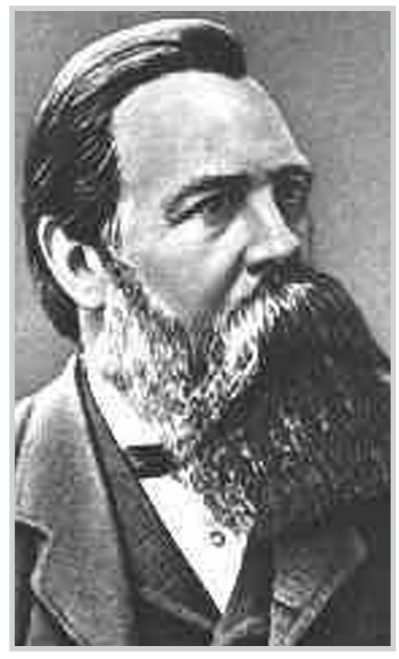

بعد وفاة فردريك أنجلس (١٨٩٥) ساد في أوروبا الرأسمالية، لمدة من الزمن، تأويل كاوتسكي للماركسية. وكان كاوتسكي من المعجبين بالداروينية، وبالعلوم الطبيعية الأخذة، حينها، بالازدهار. ولذا سعى إلى إيجاد نوع من المطابقة بين ما يحدث في عالم الطبيعة وما يحدث في العالم الاجتماعي الإنساني، فحاول "تفسير السيرورة التاريخية بوساطة جبرية صارمة تقع على مستوى التناقضات الاقتصادية". ففي عرفه انطوى التاريخ على غاية يسير آلياً نحوها.. "فمنظور الاشتراكية مبني على اليقين (العلمي) بأن تطور الرأسمالية الاقتصادي والاجتماعي في سبيله إلى أن يوجد، في ختام سيرورة آلية وضرورية، قوة ستعمل بشكل لا يُقاوم على تحويل المجتمع". وقد ربط بين الثورة البروليتارية وتقدم الديمقراطية (الليبرالية الغربية) حيث الجماهير المثقفة اشتراكيا ستنتزع، من طريق الديمقراطية، السلطة من أيدي البيروقراطية الرأسمالية والطبقات المالكة لتقيم ديكتاتورية البروليتاريا. وتسبب باعتقاده؛ أن تطور الرأسمالية سيفضي تلقائيا إلى دمارها وإنضاج شروط الاشتراكية، برأي مناوئيه من الماركسيين، بضرب "من الطمأنينة الانتهازية، المسلمة مقاديرها لقوى التاريخ، المتصور على أنها نتاج ضرورة محايثة للاقتصاد، تاركة له مهمة إنجاب نظام اجتماعي جديد".
ولما وسّعت الرأسمالية، في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، من هامش ربحها قدّمت تنازلات ملموسة للطبقة العاملة التي لم تعانِ من إفقار نسبي كما تنبأ ماركس. كذلك لم تصف الطبقة الوسطى، ولم تتفاقم الأزمة الاقتصادية وتزداد البطالة ويعم الاضطراب. بل حصل العكس، فبرز حينئذ من يشكك ويطعن "في صحة الرؤية الماركسية للحركة باتجاه الاشتراكية". وكان على رأس هؤلاء برنشتاين الذي رأى أن الاشتراكية "ستولد من سيرورة تكيّف الرأسمالية التي تفتح آفاق نشاط جديد أمام الأحزاب الاشتراكية إذا عرفت وأدركت أن منظور الثورة لم يعد مذ ذاك فصاعداً سوى أسطورة. وفي هذه الحال، ستكون هي صاحبة الكلمة الأخيرة في استخدام الإمكانات المتعاظمة باستمرار التي يتيحها لها تقدّم الديمقراطية كي تعزز مواقعها شيئاً فشيئاً داخل النظام بهدف تحويله تدريجيا، عن طريق إصلاحات تعمل رويداً رويداً على إزالة سيطرة الطبقة الرأسمالية واستغلالها". فيما تنبأ بليخانوف، أحد قادة المناشفة، بأن بلداً مثل روسيا (١٩١٧) "لا يمكن أن يعطي سوى دولة أوتوقراطية استبدادية حتى لو ارتدت رداءً بلشفياً".
وصم أمثال كاوتسكي وبرنشتاين وبليخانوف بالتحريفية. وانبرى كثر من الماركسيين للتصدي لهم، ولمن لف لفهم، وبيان تهافت طروحاتهم. وإن كان الحال سيختلف بعد عقود، بعد سقوط التجربة البلشفية، حين ستعلو الأصوات للعودة إلى كاوتسكي ومجموعته، وإعادة قراءة نصوص الاشتراكيين الديمقراطيين الألمان والروس.
كان تعويل من سُمّوا بالتحريفيين على النضال النقابي الذي سيفضي، بحسب وجهة نظرهم، بالنقابات إلى المشاركة في الإدارة، ومن ثم الحلول محل الطبقة الرأسمالية في السيطرة على المصانع. لكن ذلك كان وهماً محضاً، كما ستثبت التجارب القريبة. وكما سيؤكد الماركسيون الراديكاليون. وها هي روزا لوكسمبورغ تقرّ بأن "الاشتراكية ليست منقوشة سلفاً في سماء التاريخ، وإنما هي بالأحرى فرصة تُنتهز: فإذا لم تُنتزع في الوقت المناسب من أحشاء المجتمع القديم بواسطة تدخل الجماهير الحاسم، فإن المجتمع برمته سيتراجع القهقرى نحو الهمجية". وهنا، في هذا المنعطف الحاسم، ظهر قائد اشتراكي كارزمي، ومنظر من طراز رفيع، هو فلاديمير أليتش لينين.
كان العصر الذي عاشه لينين مختلفاً عن عصر ماركس.. كانت معطيات جديدة قد برزت على الأرض. وكانت تحدياتٍ جديدة تواجه الفكر الماركسي والاشتراكي. وحين ضُربت الرأسمالية في أضعف حلقاتها (روسيا/ أكتوبر ١٩١٧) بناء على فكرة تروتسكي كان لزاماً، على الأقل، من وجهة نظر قادة ثورة أكتوبر ومفكريها، وعلى رأسهم لينين، إدخال تعديلات جوهرية على الماركسية (نظرية وتطبيقا). وكما يقول هربرت ماركوز في كتابه (الماركسية السوفياتية) فإن "ظهور اللينينية كشكل جديد للماركسية قد حدّده عاملان أساسيان: ١. العمل على إدخال الطبقة الفلاحية في مدار النظرية والإستراتيجية الماركسيتين. ٢. العمل على إعادة تحديد آفاق التطور الرأسمالي والثوري في العصر الإمبريالي". فمقابل قدرة الرأسمالية المتقدمة على الاستمرار مع إضعاف الشحنة الثورية لدى البروليتاريا كان يجب بالنسبة للماركسيين "تشديد اللهجة على البلدان المتأخرة التي تسيطر فيها الزراعة والتي كان يبدو أن ضعف القطاع الرأسمالي فيها يقدّم فرصاً أفضل للثورة". وفي ما بعد سيطرح سمير أمين أفكاراً قريبة جداً من هذا في نظريته عن المركز والأطراف. وسيرى آخرون، بعد انهيار التجارب الاشتراكية في ذلك وبالا على الماركسية، أو خيانة لفكر ماركس ومنهجه ووعده.
تعد الماركسية اللينينية إعادة صياغة أو إعادة تكييف للماركسية من منظور لينين، في ضوء مستجدات الواقع السياسي والتاريخي الأوروبي مطالع القرن العشرين، لاسيما في روسيا. وقد أخفى التظاهر بالالتزام الوفي بتعاليم ماركس انزياحات خطيرة عن جوهر الماركسية (الأصيلة بحسب رؤى ماركس في سياق ما نظّر له) أهمها في مسألتين رئيستين؛ ١. الدولة التي تعززت قوتها وتبقرطت في مرحلة البناء الاشتراكي السوفيتي، في حين تحدث ماركس عن انحلال الدولة مع تطور ذلك البناء. ٢. إمكانية بناء الاشتراكية في دولة واحدة، غير مستوفية تاريخياً لشروط التحول الاشتراكي كما حدّدها ماركس نفسه. أي تلك التي تخص تطور القوى المنتجة واتساع رقعة الطبقة العاملة ونضوج وعيها الطبقي والسياسي.
كان ماركس قد أكد أن الثورة الاشتراكية لن تحدث إلا في بلد متقدم اقتصادياً، تصل فيه التناقضات حد الانفجار. وبقي لينين مخلصاً لهذه القناعة حتى بعد انتصار الثورة البلشفية في العام ١٩١٧. ورأى أن هذه الثورة ستنقذها الثورة المرتقبة في ألمانيا. فالثورة الروسية لم تكن سوى "ثورة برجوازية بقدر ما أن صراع الطبقات في الريف لم يتطور بعد". فقد كان لينين يعي أن الاشتراكية بحاجة إلى تلك النقلة التي تحدثها البرجوازية والرأسمالية؛ تصنيع بمستوى راق، وإنتاجية عمل عالية، ويد عاملة منضبطة ودقيقة الاختصاص. وقد صرّح عشية الثورة بأن؛ "رأسمالية الدولة الاحتكارية هي بمثابة إعداد مادي كامل للاشتراكية". وفي هذه الأونة شرع يتحدث بحذر عن إمكانية حرق بعض مراحل هذه السيرورة التاريخية.
وحين بدأت الرأسمالية الغربية تزدهر بفضل استعمارها بلدان الشرق واستغلالها مواردها استشرف لينين، في ذلك، مقدمات الثورة التي ستؤازرها الطاقة الثورية الوليدة في الشرق ضد الاستعمار.. يقول؛ "إننا نستفيد من كون العالم أجمع قد دخل الآن في حركة ستولد الثورة الاشتراكية العالمية".
تأخرت الثورة المنتظرة في بلدان الغرب الرأسمالي، واستقر النظام القائم على مبدأ الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وبات يبدو قادراً على معالجة أزماته المستحكمة.. هنا خلقت الستالينية اللينينية وظهرت المركزية الاستبدادية، وتوطدت سلطة الدولة الديكتاتورية على البروليتاريا والفلاحين بديلاً عن ديكتاتورية البروليتاريا كما ينوّه ماركوز. وفي تلك المرحلة طفت على السطح جملة أوهام استحالت إلى صيغ عقيدية متحجرة، منها على حد تعبير ماركوز؛ "إن المجتمع السوفياتي مجتمع اشتراكي ليس فيه استغلال، وعلى أنه ديمقراطية بالمعنى التام للكلمة تضمن فيها حقوق المواطنين الدستورية وتحترم". أو أن الرأسمالية تعيش مرحلة كبرى من صراع الطبقات، مع انحطاط في مستوى الحياة وانتشار البطالة، وأن النظام برمته آيل إلى السقوط.
كانت الكذبة تكبر، وتتبلور بنية طقسية ولغة طقسية، تحوّل الماركسية إلى إيديولوجيا تتنافر مع الواقع.. إيديولوجيا هي وعي (زيف موضوعي) وأداة سيطرة.. هذا ما يسهب في تحليله ماركوز وهو يؤشر في وقت مبكر، علل التجربة الاشتراكية وجرثومة تصدعها الثاوية في بنية دولتها البيروقراطية.
اقتضت الأطروحة الماركسية ضرورة المحافظة على الدولة في المرحلة الأولى من الاشتراكية لأنها "التنظيم الوحيد الذي ستمارس به البروليتاريا السلطة التي تكون قد استولت عليها كيما تُخضع أعداءها الرأسماليين، وتنجح في تحقيق تلك الثورة الاقتصادية" مثلما يقول أنجلس.. هذه الدولة ستفقد، بحسب النظرية، طابعها القمعي والسياسي، "وستتحول إلى مجرد وظيفة إدارية متعلقة بمصالح المجتمع الحقيقية". فكيف انتهى الأمر، يا ترى، بالدولة الاشتراكية السوفيتية (ومستنسخاتها في شرق أوروبا)؟
إن أية مراجعة لتاريخ تلك الدولة، ومعاينة الأهوال التي صنعها جهازها البيروقراطي القمعي، وكمّ الضحايا الذين قضوا من أجل أن يستمر النظام، والثمن الإنساني الباهظ المدفوع مقابل ذلك تعطينا الجواب الحاسم بهذا الصدد. هذه الدولة لن تتخلص قط من بُعدها القومي الخفي. ولن تنجح الماركسية السوفياتية قط "في حل التناقض بين نزعتها القومية الخاصة وبين النزعة الأممية الماركسية. لا في ستراتيجيتها ولا في إيديولوجيتها كما تثبت ذلك المحاولات المجدة الشاقة للتمييز بين (الكوزموبوليتية البورجوازية) والأممية الأصيلة، بين الشوفينية و (النزعة الوطنية السوفياتية)" كما يقول ماركوز.
واجهت التجارب الاشتراكية من الناحيتين النظرية والتطبيقية جملة معضلات، منها ما يتعلق بانتشار النزعة القومية التي تحرّز منها الاشتراكيون، فيما شخصها اشتراكي مثل برونو باور، في العام ١٩٠٧، بعدّها لحظة ضرورة في التطور التاريخي، إذ أن "الوجدان الأخلاقي . الاجتماعي الذي ينتجه التاريخ والذي يصبح بعدئذ محرّكه، يجد تحقيقه الأول في الوجدان القومي" وعلى الاشتراكيين في رأيه أن يمنحوا هذا الوجدان "مكانه في جدل التاريخ، وأن يفهموا أن تحقيق الفكرة القومية، لا نبذها، هو الذي سيتيح لها أن تتجاوز نفسها من خلال تفتح وجدان أممي".
كان التوسع الإمبريالي في قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ينعش الاقتصاد الرأسمالي الغربي ويخفف من حدّة أزماته. وكانت ثورات الشعوب في المستعمرات، والتي اتخذت غالباً الصبغة القومية، مما يمكن وضعها في سياق النضال ضد الرأسمالية العالمية. وهناك من أشار إلى "إمكانية اندماج الحروب الأوروبية، والثورات البروليتارية وانتفاضات المستعمرات في دينامية عالمية واحدة للثورة".
إن طبيعة التجربة السوفياتية، وما واجهتها من تحديات في الداخل، وأخرى خارجية أشد شراسة وكفاءة وفاعلية من قبل النظام الرأسمالي العالمي. والاستنزاف الذي لحق بمواردها (المحدودة أصلا) في دعم التجارب الاشتراكية الدائرة في فلكها. ناهيك عن دعم حركات التحرر في العالم الثالث، والمساهمة في تنمية الدول المختلفة هناك، تلك التي تبنت الماركسية، أو ادّعت صداقة الدولة السوفياتية.. نقول أن هذا كله ربما يسوّغ كثراً من السياسات (لا جميعها) التي أقرتها ومارستها الدولة الاشتراكية العظمى. ومن الظلم الاكتفاء بتقويم تلك السياسات بمعايير الوقت الراهن وحدها.. غير أن تلك السياسات راحت تأكل من جرف التجربة وتغرقها في بحر من المشكلات المستعصية.. كانت التجربة تعاني أزمات وتناقضات تغدو أحياناً عصية على الحل، في الوقت الذي كانت الطبقة البيروقراطية تنفصل عن المجتمع، وتعزز، من حيث لا تدري، المشكلات وتفاقمها. ويلاحظ هربرت ماركوز أنه "بقدر ما تكون البيروقراطية طبقة منفصلة، لها امتيازات وسلطات خاصة، تكون لها المصلحة في البقاء، وبالتالي، في الإبقاء على علاقات الإنتاج (والعلاقات السياسية) القمعية".
مع الهزات السياسية واختلالات التطبيق، وتنكيل الواقع بالنظرية، والإجراءات العملية المستوحاة من الفهم الخاطئ، أو الدوغمائي، أو البراغماتي الضيّق لها، كانت النظرية هي الأخرى تتعرض للتشكيك، والمعاداة والنقد غير الموضوعي، لتصبح، في النتيجة، ضحية مثل هذه التبدلات والانحرافات.
إن الإجحاف الأكبر الذي عاناه ماركس هو اختزال فكره في بضع مقولات مبسطة، أجتثت، في الغالب، من سياقها، أو جرى تأويلها بشكل سيئ، أو أطلقها ماركس في مماحكات سجالية عابرة، لاسيما في فترة شبابه، أو في أثناء الصراعات السياسية التي عايشها، وكان طرفاً فيها. ومثلما يقول موريس غودوولييه فإن هذه "كانت بمثابة العناية الإلهية لدى أنصاره الأشد دوغمائية مثلما هي كذلك لدى خصومه الألداء". فالدوغمائيون سجنوا ماركس وفكره في قوالب لم تتسع قط، أو لم تستطع أن تحتوي حركة الواقع التاريخي الجبارة والمراوغة والمعقدة، فيما تشبث الخصوم بهذه المقولات ليطعنوا بماركس وفكره كما لو أن فكر ماركس ليس سوى هذه المقولات التبسيطية المبتسرة. وفي الحالين كان الخاسر الأكبر هو الماركسية بعدّها طريقة تحليل للواقع الاجتماعي . الاقتصادي، ومنهج للنقد، ورؤية لحركة التاريخ، وأداة سياسية لتغيير العالم.
بمرور الوقت لم تتعدد صور النظرية وتختلف في ما بينها عند مدّعي تبنيها، حد التناقض والتناحر، فحسب، بل هي ابتعدت بصورها المختلفة تلك عن الأصول، وفقدت أو كادت روح وجوهر ومقاصد النظرية أيضاً، مثلما تبلورت في البدء. ولابد من أن ماركس سيُصاب بالدهشة والذهول وخيبة الأمل إنْ عاد إلى الحياة، اليوم، واطلع على تجارب خرقاء قامت باسمه وعدّته نبيها الملهم كالستالينية (في روسيا)، والماوية، لاسيما في أثناء الثورة الثقافية (في الصين)، والسونغية (في كوريا الشمالية) وغيرها. وستكون صدمته مروّعة إنْ هو عرف مقدار الثمن الإنساني المهول الذي دُفع مقابل ذلك.
إن مسألة الانحرافات والتبدلات، كما ينبئنا تاريخ الفكر الإنساني، هو من طبائع الأشياء، فليس لنظرية ما أن تحافظ حتى النهاية على طراوتها الأولى ونقائها البدئي بعد أن يجري تداولها وتقليبها وتأويلها بحسب مستجدات الواقع، عبر سنين طويلة، وفي أماكن وظروف متباينة. وحين تُصيب النظرية ما تصيبها تبعاً لذلك، كما حصل مع النظرية الماركسية فإن معنى العودة إلى الأصول لا يتضمن التمسك الدوغمائي بحرفية النصوص وإنما التعاطي معها من منظور التطورات الحادثة على صُعد الواقع التاريخي الموضوعي، وبمؤازرة المناهج والنظريات المستحدثة، والدروس المستخلصة من التجارب الحيّة بنجاحاتها وانتكاساتها.